

ABSTRAK

Al Qur'an adalah nutrisi bagi kebutuhan spiritual dan gizi untuk fisik berbagai ragam variasi yang semuanya dihadirkan dengan kualitas rasa yang istimewa salah satu ragam sajian Al Qur'an adalah gaya (uslub Al Tasybih metafora). Dalam berbagai style dalam lingkup studi ilmu bayan (Stylistika) Al Qur'an menawarkan, mengungkap ma'na lahir dapat diindra, dirasakan, namun ia mengandung ma'na yang sangat dalam dan halus menembus alam supranatural namun bisa dirasakan, didengar, & dilihat karena ia tampil dengan style tasybih dan itulah rahasia tasybih dalam Al Qur'an yang pembaca bisa jejak dalam tulisan ini. Unsur tasybih dalam Al Qur'an terambil dari fenomena-fenomena alam yang sangat dekat dengan siapa saja karena alam adalah habitatnya, disinilah keagungan Al Qur'an mengajak berdialog dengan Alam dan menjelaskan kepada manusia siapa sesungguhnya sang pencipta.

من أسرار التشبيه القرآني

بقلم: عمرة قاسم

القرآن الكريم غذاء الأرواح، ومائدة الله للنفوس، مختلف ألوانها، وكلها طيب الثمرات.

وتشبيهات القرآن أيا كان وجهها، صور بيانية تتضح منها الحقائق الظاهرة كأنها أمور محسوسة مرئية.^١

ولعل أول ما يستر على النظر من خصائص التشبيه في القرآن الكريم، أنه يستمد عناصره من الطبيعة، وذلك هو سر خلوده، فهو باق ما بقيت هذه الطبيعة وسر عمومته للناس جميعا، يؤثر فيهم لأنهم يدركون عناصره، ويرونها قريبة منهم وبين أيديهم، فلا تجد في القرآن تشبيها مصنوعا يدرك جماله فرد دون آخر، ويتأثر به إنسان دون إنسان.

انظر إليه: يجد في السراب وهو ظاهرة طبيعية يراها الناس جميعا، فيغيرهم مرآها، ويمضون إلى السراب يظنونهم ماء فيسعون إليه، ويريدون أن يطفئوا حرارة ظمئهم. ولكنهم لا يلبثون أن تملأ الخيبة قلوبهم حينما يصلون إليه بعد جهد

^١ المعجزة الكبرى ص ٢٣٢.

جهيد، فلا يجدون شيئاً مما كانوا يؤملون، إنه يجد في هذا السراب صورة قوية توضح أعمال الكفرة، تظن مجدية نافعة وما هي بشيء.^٢

يقول سبحانه: ((والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء

حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب.^٣ يقول أبو الحسن علي بن عيسى الرماني: فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع

عليه الحاسة إلى ما تقع عليه وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة، وعظم الفاقة، ولو قيل بحسبه الرائي ماء، ثم يظهر على خلاف ما قدر لكان

بليغاً، وأبلغ منه لفظ القرآن، لأن الظمآن أشد حرصاً عليه، وتعلق قلب به، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار -نعوذ

بالله من هذه الحال- وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم، وعذوبة اللفظ، وكثرة الفائدة، وصحة

الدلالة؟^٤

كما يقول أبو هلال العسكري: أخرج ما لا يحس إلى ما لا يحس، والمعنى

الذي يجمعهما بطلان المتوهم مع شدة الحاجة، وعظم الفاقة، ولو قال يحسبه

^٢من بلاغة القرآن ص ١٩٦.

^٣النور ٣٩.

^٤النكت في إعجاز القرآن ص ٨٢.

الرائي ماء لم يقع موقع قوله ((الظمان)) لأن الظمان أشد فاقاة إليه، وأعظم حرصا عليه.^٥

ويقول ابن أبي الإصبع: فهذا بيان إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، وقد أصبحنا في بطلان التوهم مع شدة الحاجة، ولو قيل ((يحسبه الرائي ماء)) لكان بليغا، وأبلغ منه لفظ القرآن، لأن الظمان أشد حرصا عليه، وأكثر تعلق قلب به، وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أحسن التشبيه وأبلغه، فكيف وقد تضمن مع ذلك حسن النظم، وعدوبة الألفاظ، وصحة الدلالة، وصدق التمثيل.^٦

هذا. وقد علق الشيخ محمد أبو زهرة على ما قاله الرماني، في بيان التشبيه في الآية الكريمة بقوله: نرى أن قول القائل ((يحسبه الرائي ماء)) يفسد التشبيه ولا يفيد الحاجة، لأن النص فيه ما يفيد الرغبة في طلب الماء، وشدة الحاجة إليه، وذلك محقق في المشبه، إذ أن الذين كفروا بآيات ربهم في وقت حاجتهم إلى عمل صالح، يظنون أن عملهم هذا منه. وهم محتاجون إلى ما يتقدمون به إلى ربهم من عمل صالح، فهم في وقت حاجة إلى عمل صالح كالظمان يطلب الماء.^٧

^٥الصناعتين ص ٢٦٢.

^٦بديع القرآن ص ٥٨.

^٧بديع القرآن ص ٥٨.

ومن الواضح أن ما قاله أبو هلال لا يخرج عما قاله الرماني.
كذلك فإن مقاله ابن أبي الإصبع لا يكاد يخرج بمنطوقه ومفهومه عما
قاله الرماني.

وأرى أن ما قاله الشيخ أبو زهرة أولى بالقبول.
ويصور القرآن الكريم اضطراب هؤلاء الكافرين وفزعهم عندما يجدون
آمالهم في أعمالهم قد انهارت، فتظلم الدنيا أمام أعينهم، ويتزلزل كيانهم.
يقول سبحانه: ((أو كظلمات في بحر لجي يفشاه موج من فوقه موج من
فوقه سحاب ظلّمت بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها.)) ومن لم
يجعل الله له نورا فماله من نور.^٨

إن التشبيهين -كما ترى- يعطيان صورتين من البيان تدلان على كمال
الحيرة، وكمال الظلمة، فالتشبيه الأول يعطي صورة عطشان يطلب الماء، فبتوهمه
في سراب فيجري وراءه عطشان صاديا، حتى إذا أجهده المشقة وبعد الشقة لا
يجد شيئا.

والثاني: يعطي صورة الشخص كانت عليه الظلمات توضع واحدة واحدة فوق واحدة، وإذا كانت فيها فرجة يرجو منها الرؤية لا يصل إليه النور السحاب الذي به كأنه الغمة.^٩

ويجد القرآن الكريم في الحجارة تنبو على الجس ولا تلين، ويشعر عندها المرء بالغبو والجسرة، يجد فيها المثال الملموس لقسوة القلوب، وبعدها عن أن تلين لجلال الحق، وقوة منطق الصدق.

يقول سبحانه: ((ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة^{١٠} أولا نرى أن القسوة عندما تخطر على الذهن، يخطر إلى جوارها الحجارة الجاسية القاسية^{١١}؟

- وكما ترى - فقد شَبَّهت القلوب في صلاتها وقسوتها وأنها لا ينفذ إليها شيء من الخير والحق بالحجارة، والحجارة أوضح ما يصف الغفلة والجمود. فالتشبيه يفيد أن هذه القلوب لا تثمر الخير أبدا. لأنها ليست موضوعا صالحا للإنبيات.

^٩ المعجزة الكبرى ٢٢٣.

^{١٠} البقرة الآية ٧٤.

^{١١} من بلاغة القرآن ص ١٩٦.

انظر إلى سياق هذا الوصف الجليل ((وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها، والله مخرج ما كنتم تكتمون. فقلنا اضربوه ببعضها، كذلك يحي الله الموتى، ويريكم آياته لعلكم تعقلون. ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وإن منها لما يهبط من خشية الله، وما الله بغافل عما تعملون.^{١٢}

إن الآيات الكريمة تحكي قصة خارقة حدثت لبني إسرائيل، هي قصة القتل الذي أمرهم الله في شأنه أن يذحوا بقرة، وأن يضربوه ببعضها ليحيا ويخبرهم بقاتله، وقد كان كذلك، وأراهم الله هذه الآية الناعقة بالحق للبين، وكان بعد ذلك أن قست قلوبهم، ولذلك نجد الآية تعطف قسوة القلوب ب "ثم" وهي لا تدل هنا على التراخي الزمني، وإنما تدل على استبعاد وقوع القسوة بعد جلاء الآية، وهذا معنى دقيق ينهض به هذا الحرف في كثير من الصياعات، انظر إلى قول جعفر بن علبة الحارثي:

لا يكشف الغمء إلا ابن حرة

يرى غمرات الموت ثم يخوضها

تقاسمهم أسيافنا شر قسمة

ففينا غاوشيتها ففيهم صدورها

لو قلت إن "ثم" هنا تفيد التباعد الزمني، لكان ذلك إفسادا للمعنى، لأنه يعني أنه يزور الغمرات، ويخوض الحروب بعد رؤيتها بزمن متراخ، وكأنه متردد في ذلك. وهذه ليست أوصاف الشجاع الباسل، وإنما "ثم" هنا للاستبعاد، أي الإشارة إلى أن خوض الغمرات وزيارتها بعد رؤية أهوالها أمر بعيد، إلا على هذه القلوب الجسورة.

والإشارة في قوله تعالى: ((من بعد ذلك)) تعني من بعد هذا البرهان الذي كأنه شاخص يشار إليه، والبعد فيها إشارة إلى أنه برهان يبعد أثره في القلوب الحية.

وقوله ((أو أشد قسوة)) إشارة إلى أنها ليست كالحجارة في قسوتها وإنما هي أشد قسوة. وكان من الممكن أن يقول ((أو أقسى)) لأنه فعل يأتي منه للتفضيل ولكن قصد إلى وصف القسوة بالشدة فهي ليست أقسى من الحجارة وإنما هي أشد قسوة.

ثم أشار إلى الفروق بين هذه القلوب والحجارة، فذكر أن من الحجارة ما تعمل فيه العوامل والأسباب فينفتق فتنفجر منه الأنهار لأنه يصير ممرا لها، ومنها ما يتحرك انقيادا للقوانين والسنن الكونية التي خلقها الله في الأشياء، فترى

الحجر ينحدر أو يسقط وهذا هو معنى الهبوط من خشية الله، وقلوب اليهود ليست فيها واحدة من هذه المزايا التي في الحجارة، فهي فضلا عن أنها لا تكون منبعا للخير في حياة الناس أن تكون مؤذنة بحركة الخير وانتشارها، كما تكون الحجارة مؤذنة بمرور الماء، والماء هو أصل الحياة في مجالاتها الحسية والمعنوية. كذلك لا تكون هذه القلوب متلائمة في وجودها مع حركة الإنسانية العامة، والتي تخضع لقوانين وسنن كونية عامة، وإنما تكون في سياق الوجود كالشيء النشاز.

وفي هذا التشبيه وما جاء عليه من تدرج ((كالحجارة أو أشد قسوة)) إشارة إلى أن قلوب هذه الجماعة تتدرج صاعدة في مدارج الغلظة الحاقدة على الإنسان، وأن هذا هو الخط الذي تسير فيه.^{١٣}

ويجد القرآن الكريم في هذا الذي يعالج سكرات الموت، فتدور عينه حول عواده في نظرات شاردة تائهة، صورة تخطر بالذهن لدى رؤية هؤلاء الخائفين الفرعين، من المضي إلى القتال، وأخذهم بنصيب من أعباء الجهاد.^{١٤}

^{١٣}التصوير البياني ٢٧، ٢٨.

^{١٤}من بلاغة القرآن ص ١٩٧.

يقول سبحانه: ((قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا. أشححة عليكم فإذا جاء التحوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشي عليه من الموت.^{١٥}

إن قوله تعالى: ((كالذي يغشى عليه من الموت)) أضفى على الدوران الدائب اللاهث وصف الضعف والتخاذل والفتور، فليس هذا الدوران والدأب من العيون أمانة الحيوية والحياة. وإنما هو مظهر الموت والاستسلام. وما أروع كلمة ((يغشى)) حيث غشت حركة عيونهم واضطرابهم بغشاء المسحي الذي خذلته غشاه، وهم بفراقه نبض القوة والحياة.

انظر إلى حسن هذا التشبيه حيث احتار نظر المغشى عليه من الموت صورة صادقة لهؤلاء الخوارين الذين يملأ قلوبهم الجمود والموت، والذين وصفهم في أكثر من موضع بمرض القلوب، وإذا طال زمن مرض القلوب استشرى فيها داؤها، ومات كل معنى من معاني الحياة التي لا تجد لها مقرا إلا في صحاح القلوب.^{١٦}

ويجد القرآن الكريم في الزرع وقد نبت ضئيلا ضعيفا، ثم لا يلبث سافه أن يقوي، بما ينبت حوله من البراعم فيشتد بها ساعده ويغلط حتى يصبح بهجة

^{١٥} الأحزاب ١٨، ١٩.

^{١٦} من أسرار التعبير القرآني ص ٨٠.

الزراع وموضع إعجازه، يجد في ذلك صورة شديدة المجاورة لصورة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كانوا في بدء أمرهم قلة ضعافا، ثم أخذوا في الكثرة والنماء، حتى اشتد ساعدهم، وقوي عضدهم، وصاروا قوة تملأ قلب محمد صلى الله عليه وسلم بهجة، وقلب الكفار حقدا وغيظا.

يقول سبحانه: ((محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار))^{١٧}

فماذا ترى في هذا الزرع؟ إنه لا يصبح هشما مطلقا، ولا تذروه الرياح أبدا، إنه ليخيل إليك أنه ثابت هنا في مكانه، قار في منبته. خالد في موضعه، ومدة العرض هنا دائمة، والمنظر ثابت، حتى تتحول عنه العين، ولا يتحول هو عن العين، وذلك هو الهدف المقصود.

إن الأجزاء الأولى من صورة الزرع - كما ترى - تتم في سرعة متعاقبة ((كزرع أخرج شطأه)) ((فآزره)) ((فاستغلظ)) ((فاستوى على سوقه)) فقد تم الغلظ والاستواء في مدى قصير، ثم ثبت بعد ذلك وقر، والإسراع الأول

مقصود كالأستقرار الأخير، في تصوير حال المسلمين يتم نموهم، ثم يستقر وضعهم أبدا.^{١٨}

ويجد في أعجاز النخل المنقر المقتلح من مفرسه وفي الهشيم الضعيف الداوي صورة قريية من صورة هؤلاء الصرعى، قد أرسلت عليهم ربح صرصر تترعهم عن أماكنهم، فألقوا على الأرض مصرعين هنا وهناك.

يقول تعالى: ((إنا أرسلنا عليهم ربحا صرصرا في يوم نحس مستمر تترع الناس كأنهم أعجاز نخل منقر.^{١٩}

يقول الرماني: هذا بيان قد أخرج ما لم تجربه عادة إلى ما قد جرت به. وقد اجتماعا في قلع الربح لهما، وإهلاكها إياهما، وفي ذلك: الآية الدالة على عظيم القدرة والتخويف من تعجيل العقوبة.^{٢٠}

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: إنما المقصود من التشبيه فيما نحسب تصوير عذاب الله تعالى، فالله تعالى أرسل عليهم ربحا شديدة البرد، في يوم كله بأس وشدة، وهو كالنحس عليهم، طويل في آلامه، ومستمر فيها، ولو كان في الزمن قصيرا، ثم يصور الله تعالى نزع المشركين من غرورهم، واعتزازهم بما لهم،

^{١٨} من بلاغة القرآن ص ١٩٧، والتصوير الفني ص ١١٢.

^{١٩} القمر ١٩، ٢٠.

^{٢٠} النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل ص ٨٣.

يتزعون بعنف شديد لا يقرون فيه على الامتناع ولا الإصرار على البقاء، كما تترع مؤخرات وجذور نخل غاصت جذوره في أعماق الأرض.

هذا بريق التشبيه المرعد الذي يصور ما يتزل بالمشركين الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد.^{٢١}

ويقول تعالى: ((فترى القوم فيها صرعى. كأنهم أعجاز نخل خاوية))^{٢٢} يقول الرماني: وهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم، وقد اجتمعا في خلو الأجساد من الأرواح، وفي ذلك الاحتقار لكل شيء يؤول به الأمر إلى ذلك المآل.^{٢٣}

كما يقول أبو هلال العسكري: الجامع بين الأمرين خلو الأجساد من الأرواح، والفائدة الحث على احتقار ما يؤول به الحال.^{٢٤} ولا يخرج كلام أبي هلال عن مفهوم ومنطوق كلام الرماني.

هذا، وقد شاع في القرآن الكريم تشبيه المحسوس بالمحسوس، والقرآن حين يشبه محسوسا بمحسوس فإنما يهدف إلى رسم الصورة كما تحس بها النفس.

^{٢١} المعجزة الكبرى ص ٢٢٦.

^{٢٢} الحاقة ٧.

^{٢٣} النكت في إعجاز القرآن ص ٨٤.

^{٢٤} الصناعتين ص ٢٦٤.

تجد ذلك في قوله سبحانه: ((وهي تجري بهم في موج كالجبال))^{٢٥}
 ألا ترى الجبال تصور للعين هذه الأمواج الضخمة، وتصور في الوقت
 نفسه ما كان يحس به ركاب هذه السفينة وهم يشاهدون هذه الأمواج من
 رهبة وجلال معا، كما يحس بهما من يقف أمام شامخ الجبال؟
 وقوله تعالى: ((وتكون الجبال كالعهن المنفوش))^{٢٦}
 فالعين المنفوش يصور أمامك منظر هذه الجبال، وقد صارت هشة لا
 تتماسك أجزاءها، ويحمل إلى نفسك معنى خفتها ولينها.^{٢٧}
 فالجبال الشم الصلبة يوم القيامة تكون خفيفة هشة كالصوف المنفوش
 وقد شبهت الجبال بأضعف ما يكون وأرخاه، لإظهار قدرته تعالى مبالغة في الرد
 على من أنكر المعاد. وتكذيبا لمن حاك في صدره استبعاد ذلك.^{٢٨}
 وقوله تعالى: ((والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم))^{٢٩}

^{٢٥}هود ٤٢.

^{٢٦}القارعة ٥.

^{٢٧}من بلاغة القرآن ص ١٩٢.

^{٢٨}البيان في ضوء أساليب القرآن ص ٨٠.

^{٢٩}يس ٣٩.

فهذا القمر بهجة السماء وملك الليل، لا يزال يتنقل في منازلها، حتى يصبح بعد هذه الاستدارة المهجة، وهذا الضوء الساطع الغامر، بيده ظلمة الليل ويجيل وحشته أنسا، يصبح بعد هذا كله دقيقا نحىلا محدوبا لا تكاد العين تنتبه إليه، وكأنما هو في السماء كوكب تائه، لا أهمية له، ولا عناية بأمره، أو لا ترى في كلمة العرجون ووصفها بالقديم ما يصور لك هيئة الهلال في آخر الشهر، ويحمل إلى نفسك ضالة أمره معاً.^{٣٠}

فقد شبه القمر في نهاية رحلته بالعرجون القديم، وهو تشبيه غني جدا، لأن العرجون القديم لا يشارك القمر في الشكل فحسب، وإنما هناك معان أخرى، منها أن العرجون القديم كأنه شيء تائه لا يلتفت إليه، وكذلك القمر في هذه المرحلة تراه ضالا في السماء لا تتعلق به الأبصار، ومنها أن كلا منهما كان موضع العناية ومتعلق الأنظار، فالعرجون كان حامل الثمر والنفع، والقمر كان مرسل النور والهداية، وقوله ((حتى عاد)) يطوي قصة رحلة طويلة بدأها هلالا ثم مضى في مسيرة طويلة حتى عاد... وهذه النهاية متلائمة كل التلائم مع النهايات في آيات السياق ((وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم

^{٣٠} من بلاغة القرآن ص ١٩٢.

مظلّمون، والشمس تجري لمستقر لها، ذلك تقدير العزيز العليم، والقمر قدرناه
منازل حتى عاد كالعرجون القديم)).^{٣١}

الآيات الثلاث تفوح بريح العدم، فالنهار بحركته يسليخ من الليل فتبقى
الظلمة والجمود، والشمس تجري أولاً ثم تقف عند مستقرها الأبدي، والقمر
يبدأ قصة مسيرته حتى ينتهي نوره ويعود كأنه موات.^{٣٢}

وقوله تعالى: ((إنها ترمي بشرر كالقصر، كأنه جمالة صفر)).^{٣٣}

فالقصر وهو البيت من الحجر، أو الغليظ من الشجر، والجمال الصفر،
توحي إلى النفس بالضخامة والرغبة معا، وصور لنفسك شررا في مثل هذا
الحجم من الضخامة يطير.^{٣٤}

فتشبه الشرر حين ينفصل من النار في عظمه بالقصر، وحين يأخذ في
الارتفاع والانبساط لانشقاقه وتشعبه عن أعداد غير محصورة بالجمالة الصفر في
اللون، وسرعة الحركة والكثرة، والانشقاق والتتابع، إذ كان ذلك من شأن هذه
الإبل عند اجتماعها وتزاحمها واضطراب أمرها، وهذه كلها أمور حسية،

^{٣١}يس ٣٧-٣٩.

^{٣٢}التصوي البياني ص ٢٦.

^{٣٣}المرسلات ٣٢، ٣٣.

^{٣٤}من بلاغة القرآن ص ١٩٢.

ومغزي التشبيه بالشرر هو التأكيد والتخويف من النار التي ترمي به تعظيماً
لشأنها، وإرهابا للكافرين من سطوتها.^{٣٥}

يقول الشيخ عبد القادر المغربي: يستعظم السامع مع هذا الوصف،
ويستغرب تشبيه الشرر بالقصر، لأنه إنما يفهم من القصر حسب المشهور في
معناه، البناء العظيم المشرف، فيقول كيف تكون الشرارة الواحدة المتساقطة من
ذلك الدخان كالقصر؟ بل ربما ذهب خياله إلى قصور الملوك الباذخة ذات
الشرف والقمم والأبراج الشامخة فيستغرب الوصف ويستبعد الأمر، ولكن
القصر إن كان يطلق في لغة العرب على هذا الضرب من المساكن الشامخة، فإنه
يطلق على كل بيت من حجر وإن كان صغيراً لاطماً، بل قال ابن عباس رضي
الله عنهما: ((إن تشبيه الشرر بالقصور وارد على ما هو المعتاد في بلاد العرب
من جعل قصورهم قليلة الارتفاع جارية في شكلها وهيئتها مجرى الخيام)).

فقد شبهت الشرارات بالجمالات في عظمها ولونها، ثم في كثرتها
وانتشارها هنا وهناك، في المرعى وفي تتابع بعضها إثر بعض، وهي سائرة في
أقطارها، وهكذا الشرارات تنبعث الشرارة إثر الشرارة أثناء تلظي نارها.

^{٣٥}القرآن والصورة البيانية ص ٤١.

والصفر ذات اللون الأصفر المعروف، أو المراد بالصفرة هنا السواد الضارب إلى صفرة، فإن هذا اللون هو اللون الغالب في ألوان الإبل عند العرب، والعرب يستعملون اللون الأصفر فيما كان لونه كالذهب والزعفران، وفيما كان لونه أسود كالغراب. ولا تعجب من قرن الجمال الصفر بالقصور الحمر في الذكر، ولا من الجمع بينهما في التشبيه، فإنك إذا نظرت إلى قرية من قرى العرب وقصورها، أي أبيتها الصغيرة اللاطئة المحمرة أو المصفرة بلون طينها أو تراها أو حجارها وهي منتشرة هنا وهناك في جنبات المهل الأفيح ويتخللها أو يسرح في كل جانب من جوانبها نياق أو جمال مصفرة اللون أو مسودته ترعى تارة هنا وطورا هناك، إذا وقع نظرك على ذلك نحت من بعد في آن واحد أجساما صغيرة حمراء أو صفراء أو سوداء تتراءى لك من خلال الكالأ والعشب الأخضر، هذه البيوت هنا، وهذه الجمال هناك في مشهد واحد وإذ ذاك لا تعود تستبعد تشبيه هذه الشرارات الجهنية بتلك الأبيات والجمالات ولا تستغرب قرنها معا في الذكر بل تستحل ذلك وتعجب به.^{٣٦}

ومن ثم يتبين أن التشبيهين لا يغربان عن ذهن العربي، فإن التشبيه بالقصر، وهو البيت من حجر، أو هو الغليظ من الشجر مألوف العربي، يشاهده

^{٣٦}خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم ص ٣٠٨.

ويراه، وكذلك الجمال الصفر، إنها آله التي يتحرك بها ووسيلته إلى قطع الصحراء، فإذا وقع عليها التشبيه أي تشبيه شر جهنم الذي يرتفع عاليا كالقصر فهذا تصوير لارتفاع الشرر، وهو منظر حسي رهيب يلقي بتهاوله في قلب العربي ويثير مخيلته ويحرك وجدانه.

وإذا أراد القرآء، الكريم أن يعطي تصورا عن اللون، لون ذلك الشرر المرتفع المتطاير الذي يتدافع متصاعدا على شكل موجبات صفراء— تشبه جماعات من جمال صفر تمضي في الصحراء جماعة تلو جماعة.

أرأيت إلى الشكل واللون يصورهما القرآن خير تصوير مستعملا أداة التشبيه عامدا إلى ما يألفه العربي ليثير خياله ووجدانه.^{٣٧}

وقوله تعالى: ((كأنهن الياقوت والمرجان))^{٣٨}، وقوله سبحانه ((كأنهن

بيض مكنون))^{٣٩} وقوله جل شأنه: ((وحوار عين، كأمثال اللؤلؤ المكنون)).^{٤٠}

تأمل جمال التشبيه: فليس في الياقوت والمرجان واللؤلؤ المكنون لون

فحسب، وإنما هو لون صاف حي فيه نقاء وهدوء، وهي أحجار كريمة تصان

^{٣٧}واقعية المتهج القرآني ص ٤٤٠.

^{٣٨}الرحمن ٥٨.

^{٣٩}الصفات ٤٩.

^{٤٠}الواقعة ٢٢، ٢٣.

ويحرص عليها، والنساء نصيبن من الصبابة والحرص، وهن يتخذن من تلك الحجارة زينتهن، فقرب بذلك الصلة واشتد الارتباط، أما الصلة التي تربطهن بالبيض المكنون فضلا عن نقاء اللون، فهي هذا الرفق والحذر الذي يجب أن يعامل به كلاهما، أولا ترى في هذا السكن أيضا صلة تجمع بينهما؟ وهكذا لا تجد الحس وحده هو الرابط والجامع، ولكن النفس نصيب أي نصيب.

وكثر في القرآن الكريم إيضاح الأمور المعنوية بالصور المرئية المحسوسة، تلقى عليها أشعة تغمرها، فتصبح شديدة الأثر، وها هو ذا يمثل وهن ما اعتمد عليه المشركون من عبادتهم غير الله، وهنا لن يفيدهم فائدة ما، فهم يعبدون ويبدلون جهدا يظنونه مثمرا، وهو لا يجدي، فوجد في العنكبوت ذلك الحيوان الذي يتعب نفسه في البناء ويبدل جهده في التنظيم وهو لا يبني سوى أوهن البيوت وأضعفها، فقرن تلك الصورة المحسوسة إلى الأمر المعنوي فزادته وضوحا وتأثيرا.^{٤١} قال تعالى: ((مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون))^{٤٢}

^{٤١} من بلاغة القرآن ص ١٩٣.

^{٤٢} العنكبوت ٤١.

يقوم الرماني: فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبدية إلى ما يعلم البديهة، وقد اجتمعا في ضعف المعتمد ووهاء المستند، وفي ذلك التحذير من حمل النفس على الغرور بالعمل على غير يقين مع الشعور بما فيه التوهين.^{٤٣}

كما يقول أبو هلال العسكري: فالجامع بين الأمرين ضعف المعتمد، والفائدة التحذير من حمل النفس على التفرير بالعمل على غير أمر.^{٤٤}

ويريد القرآن أن يحدثنا عن أعمال الكفرة، وأنها لا غناء فيها، ولا ثمرة ترجى منها، فهي كعدمها، فوجد في الرماد الدقيق لا تبقى عليه الريح العاصفة صورة تبين ذلك المعنى أتم بيان وأوفاه.^{٤٥}

يقول سبحانه ((مثل الذين كفروا برهيم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرון مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد)).^{٤٦}

يقول الرماني: فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحياصة إلى ما تقع عليه، فقد اجتمع المشبه والمشبه به في الهلاك وعدم الانتفاع والعجز عن الاستدراك لما فات، وفي ذلك الحسرة العظيمة والموعظة البليغة.^{٤٧}

^{٤٣}النكت في إعجاز القرآن ص ٨٤.

^{٤٤}الصناعتين ص ٢٦٤.

^{٤٥}من بلاغة القرآن ص ١٩٤.

^{٤٦}إبراهيم ١٨.

إن الكافرين كانوا يحسبون أن أعمالهم لها أثر في الوجود في زعمهم، ويتوهمون وقوع ذلك وأنهم قدموا لأنفسهم شيئاً، ولكنهم يفاجأون بريح شديدة في يوم عاصف، تبدد ما كانوا عليه من أحلام، كانوا يتوهمون أن ما لهم في الدنيا ينفعهم، فلما جاء يوم القيامة بددت أحلامهم فتقدموا عاطلين في حلبة العمل الطيب وكان ذلك هو الضلال البعيد، لأنهم زعموا باطلاً؛ ثم رأوا الحقيقة عياناً.^{٤٨}

وواضح أن الصورة تزيد حركة وحياة بحركة الريح في يوم عاصف تذر الرماد، وتذهب به بدداً إلى حيث لا يتجمع أبداً.^{٤٩}

واقراً قوله تعالى: ((له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)).^{٥٠}

الآية الكريمة تتحدث في شأن من يعبدون الأوثان، وأنهم إذا دعوا آلهتهم لا يستجيبون لهم بشيء ولا يرجع إليهم هذا الدعاء بفائدة، ولا يعود عليهم

^{٤٧}النكت في إعجاز القرآن ص ٨٢.

^{٤٨}المعجزة الكبرى ص ٢٢٤.

^{٤٩}التصوير الفني ص ٣٦.

^{٥٠}الرعد ١٤.

بطائل، ولا يلحقهم من ورائه نفع، وقد أراد القرآن أن يقرر هذه الحال ويشبثها في الأذهان فشبه هؤلاء الوثنيين بمن يبسط كفيه إلى الماء ليشرب فلا يصل الماء إلى فمه، وذلك لأنه يخرج من بين فروج أصابعه ما دامت كفاه مبسوطتين.

و- كما ترى- وجه الشبه: الرجوع بالخيبة والخسران بعد الأمل والرجاء.

يقول الرماني: فهذا بيان قد أخرج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه.

وقد اجتمعا في الحاجة إلى نيل المنفعة والحسرة بما يفوت من درك الطلبة، وفي ذلك الزجر عن الدعاء إلا الله عز وجل الذي يملك النفع والضرر، ولا يضيع عنده

مثقال الذر.^{٥١}

كما يقول أبو هلال: والمعنى الذي يجمع بينهما الحاجة إلى نيل المنفعة

والحسرة لما يفوت من درك الحاجة.^{٥٢}

وواضح أن ما قاله أبو هلال لا يخرج عما قاله الرماني.

ويقول ابن قتيبة: أراد: كباسط كفيه إلى الماء ليقبض عليه فيبلغه فاه قال

((ضابئ بن الحارث البرجمي)):

فإني وإياكم وشوقا إليكم

كقابض ماء لم تسقه أنامله.^{٥٣}

^{٥١}النكت في إعجاز القرآن ص ٨٣.

^{٥٢}الصناعتين ص ٢٦٣.

والعرب تقول لمن تعاطي ما لا يجد منه شيئاً: هو كالقابض على الماء^{٥٣} هذا، وقد جاء في القرآن ضرب آخر من التشبيه اعتمد في إبراز الحقيقة المراد إبرازها على ما ترسخ في النفوس من صور لأشياء ليست حقائقها مرئية في حياة الناس كقوله تعالى في وصف طلع شجرة الزقوم: ((طلعها كأنه رؤوس الشياطين)).^{٥٤}

فإنه اعتمد في بيان حالتها على ما تخيلته النفوس للشيطان من رأس قبيحة جدا وبالغة في النفرة والكراهية، والشجرة غريبة لم توجد على أساس القانون الطبيعي لوجود الشجر من تربة فيها حياة وماء، وإنما هي شجرة تخرج في أصل الجحيم هي شجرة شاذة وغريبة فناسبتها هذه الرؤوس الغريبة رؤوس الشياطين، والجمع في كلمة رؤوس يمنح الصورة قدراً من الغرابة، فليس عليها رأس شيطان، وإنما عليها رؤوس جميع الشياطين المنبئين في الثقلين جادين في إنسان الوجود، يغرسون الشر والأذى ويقتلون الخير النافع.

^{٥٣} يقول: ليس في يدي شيء من ذلك، كما أنه ليس في يد القابض على الماء شيء.

^{٥٤} تأويل مشكل القرآن ص ٢٢٤.

^{٥٥} الصافات ٦٥.

طلع شجرة الضر النامية في قصر جهنم تثمر طعاما لهؤلاء الذين يكونون
 جبهة الشرفي الأرض أو حزب الشيطان، هذا التشبيه فيه قدر التهكم بأولياء
 الشيطان الذين يطعمون في جهنم من شجرة طلعتها كراس وليهم.^{٥٦}
 والبلاغيون يطلقون على هذا النوع من التشبيه ((التشبيه الوهمي)) وهو ما
 ليس مدركا بشيء من الحواس الخمس الظاهرة، مع أنه لو أدرك لم يدرك إلا
 بما.

يقول ابن القيم: إن هذه الأشياء المعقولة لتقرررها في الذهن وتخيّلها في
 العقل، صارت بمتزلة المحسوسات، فلما نزلت متزلة المحسوسات صح التشبيه
 وقوي، وصار المعقول للمبالغة أثبت في النفس وأقوى من المحسوس فصار لذلك
 أصلا يشبه به.

ومن هذا قوله تعالى: ((طلعتها كأنه رؤوس الشياطين)) ولهذا قال امرؤ
 القيس يشبه نصول الرماح:

أيقتلني	والمشرقي	مضاجعي
ومسنونة	زرق كأنياب	أغوال

^{٥٦}التصوير البياني ص ٩٤.

فإنهم وإن كانوا لم يشاهدوا الغول وأنيابها لكنهم لما اعتقدوا فيها أي في أنيابها غاية الحدة حسن التشبيه.^{٥٧}

كما يقول الزمخشري^{٥٨}: شبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهية وقبح المنظر، لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس، لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في القبيح الصورة كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان، وإذا صوره المصورون جاءوا بصورته على أقبح ما يقدر وأهوله. كما أنهم اعتقدوا في الملك أنه خير محض لا شر فيه، فشبها به الصورة الحسنة. قال الله تعالى: ((ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم))^{٥٩}

ويؤكد الزركشي بلاغة هذا التشبيه وروعته وسر جماله فيقول: قد يشبه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع، اعتمادا على معرفة النقيض والضد، فإن إدراكهما أبلغ من إدراك الحاسة، كقوله تعالى: ((كأنه رؤوس الشياطين)) فشبه بما لا نشك أنه مفكر قبيح لما حصل في نفوس الناس من بشاعة صور الشياطين وإن لم ترها عيانا.^{٦٠}

^{٥٧} الفوائد المشوق إلى علوم القرآن ص ٥٩.

^{٥٨} الكشاف ج ١، ص ٢٩٥.

^{٥٩} يوسف ٣١.

^{٦٠} البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٢١.

هذا ومن أسرار التشبيه القرآني دقته، فهو يصف ويقيد حتى تصبح الصورة دقيقة واضحة مؤثرة.

اقرأ قوله تعالى: ((مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا))^{٦١}

فقد يتراءى أنه يكفي في التشبيه أن يقال: مثلهم كمثل الحمار، ولكن الصورة تزداد قوة والتصاقا والتحاماً حين يقرن بين هؤلاء وقد حملوا التوراة، فلم ينتفعوا بما فيها، وبين الحمار يحمل أسفار العلم ولا يدري مما ضمته شيئاً.^{٦٢}

-وكما ترى- في الآية الكريمة تشبيه حال اليهود في حفظهم للتوراة وإعراضهم عما فيها بحال الحمار يحمل كتب العلم النافعة ولا يستفيد منها شيئاً، ووجه الشبه: هيئة الحرمان من الانتفاع بأبلغ نافع مع معاناة الكدر والتعب في استصحابه.

يقول الرماني: وهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة وقد اجتمعا في الجهل بما حملا، وفي ذلك العيب لطريقة مني ضيع العلم بالاتكال على حفظ الرواية من غير دراية.^{٦٣}

^{٦١}الجمعة ٥.

^{٦٢}من بلاغة القرآن ص ١٩٩.

^{٦٣}النكت في إعجاز القرآن ص ٨٤.

كما يقول أبو هلال العسكري: الجامع بين الأمرين الجهل بالمحمول، والفائدة فيه الترغيب في حفظ العلوم، وترك الاتكال على الرواية دون الدراية.^{٦٤}

كما يقول الإمام عبد القاهر: الشبه منتزع من أحوال الحمار، وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم، ومستودع ثمر العقول، ثم لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها ولا يفرق بينها وبين سائر الأحمال التي ليست من العلم في شيء ((ولا من الدلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه، ويكد جنبيه، فهو كما ترى مقتضى أمور مجموعة، ونتيجة لأشياء ألفت وقرن بعضها إلى بعض.

بيان ذلك: أنه احتيج إلى أن يراعى من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهو الأسفار التي فيها أمارات تدل على العلوم، وأن يثالث ذلك بحمل الحمار ما فيها حتى يحصل الشبه المقصود، ثم إنه لا يحصل من كل واحد من هذه الأمور على الانفراد، ولا يتصور أن يقال إنه تشبيه بعد تشبيه من غير أن يقف الأول على الثاني، ويدخل الثاني في الأول، لأن الشبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون من الحمار، ثم لا يتعلق أيضاً بحمل الحمار

^{٦٤}الصناعتين ص ٢٦٤.

حتى يكون المحمول الأسفار، ثم لا يتعلق بهذا كله حتى يقترن به حمل الحمار
بالأسفار المحمولة على ظهره.

فما لم يجعله كالخيط الممدود ولم يمزح حتى يكون القياس قياس أشياء
يبالغ في مزاجها حتى تتحد وتخرج عن أن تعرف صورة كل واحد منها على
انفراد بل تبطل صور المفردة التي كانت قبل المزاح، وتحدث صورة خاصة غير
اللواتي عهدت ويحصل مذاقها، حتى لو فرضت حصولها لك في تلك الأشياء لم
يتم المقصود^{٦٥}، ولم تحصل النتيجة المطلوبة وهي الدم بالشقاء في شيء يتعلق به
غرض جليل وفائدة شريفة، مع حرمان ذلك الغرض وعدم الوصول إلى تلك
الفائدة، واستصحاب ما يتضمن المنافع العظيمة والنعم الخطيرة من غير أن يكون
ذلك الاستصحاب سببا إلى نيل شيء من تلك المنافع والنعم.^{٦٦}

وإقرار قوله تعالى: ((يخرجون من الأجداث كأثم جراد منتشر))^{٦٧}

فقد شبه الناس حين خروجهم من جوف الأرض وانتشارهم على ظهرها
بالجراد المنتشر في الكثرة، والتدافع وجولان بعضهم في بعض، الكل يتحرك
ويموج من غير تحديد ومن غير تعقل.^{٦٨}

^{٦٥} جواب قوله: فما لم يجعله كالخيط.

^{٦٦} أسرار البلاغة تحقيق أحمد مصطفى المراغي ص ١١٤.

^{٦٧} القمر ٧.

وكما ترى فقد وصف المشبه به ((الجراد)) بالمنتشر حتي يكون دقيقا في تصوير هذه الجموع الحاشدة، خارجة من أجداتها منتشرة في كل مكان تملأ الأفق، ولا يتم هذا التصوير إلا بهذا الوصف الكاشف.^{٦٩}

ويصف القرآن الكريم نهاية ثمود لما عقروا الناقة التي كانت لهم آية يقول سبحانه: ((إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر))^{٧٠} والهشيم: الشجر اليابس. والمحتظر: الذي يعمل الخطيرة، وكان يمكن أن تؤدي العبارة فنائهم وتحطيمهم لو قال: فكانوا كالهشيم، ولكنه أراد أن يؤدي معنى آخر بهذا القيد وهو الازدراء، وأنهم لا كرامة ولا آدمية لهم، وإنما هم كهذا الهشيم الموطوء بالدواب تبول وتروث عليه وفيه من الإهانة وضياع الحرمات ما ترى.^{٧١}

واقراً قوله تعالى: ((كأنهم خشب مسندة))^{٧٢}

^{٦٨}التصوير البياني ص ٢٩.

^{٦٩}من بلاغة القرآن ص ٢٠٠.

^{٧٠}القمر ٣١.

^{٧١}التصوير البياني ص ٣٠.

^{٧٢}المنافقون ٤.

إنك تفهم من خلال النظم أنهم المنافقون، لأن الكلمات ترسم أشباحهم
أجساما بضة وكلمات محسولة، تستلفت الأبصار والأسماع، ولكنها ميتة، وقد
تعجب لهذا التعبير، كيف تكون الأجسام البضة، ذات الكلمة الحلوة الرشيقة
ميتة؟.

لأنهم ظاهر فقط بلا معنى، شكل بلا روح، والإيمان على ألسنتهم
كلمات يلعبون بها ويموهون، وفي قلوبهم غش وخداع، وحقد وضغينة ((كأنهم
خشب مسندة)).

يقول الزمخشري: ((ولأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو
غيرهما من مظان الانتفاع، وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند إلى الحائط
فشيئها به في عدم الانتفاع.^{٧٣}

كما يقول الدكتور أحمد بدوي: وصفت الخشب بأنها مسندة، فهي
ليست خشيا قائمة في أشجارها، لما قد يكون لها من جمال في ذلك الوضع،
وليست موضوعة في جدار لأنها حينئذ تؤدي عملا، وتشعر بمدى فائدتها،
وليست متخذا منها أبواب ونوافذ لما فيها من الحسن والزخرف والجمال.
ولكنها خشب مسندة قد خلت من الجمال، وتوحي بالنفسية والاستسلام.^{٧٤}

^{٧٣} المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ص ٤٢٩، والكشاف للزمخشري ج ٣ ص ٢٣٤.

^{٧٤} من بلاغة القرآن ص ٢٠٠.

ويبين الزركشي السر البلاغي في وصف المشبه به فيقول: شبههم بالخشب لأنه لا روح فيها، وبالمسندة لأنه لا انتفاع بالخشب في حال تسنيده.^{٧٥} ومن أسرار التشبيه القرآني: اختيار ألفاظه الدقيقة المصورة الموجبة
اقرأ قوله تعالى: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص.^{٧٦}

فقد أثر القرآن كلمة ((بنيان)) لما تثيره في النفس معنى الالتحام والاتصال والاجتماع القوي، وغير ذلك من معان ترتبط بما ذكرناه مما لا يثار في النفس عند كلمة حائط أو جدار مثلا.

وقوله تعالى: ((وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام)).^{٧٧} فإن سر إيثار كلمة الأعلام جمع علم بمعنى جبل، أن الكلمة المشتركة بين عدة معان تتداعى هذه المعاني عند ذكر الكلمة.

((لما كان من معاني العلم ((الراية)) التي تستخدم للزينة والتجميل، كان ذكر الأعلام محضرا إلى النفس هذا المعنى إلى جانب إحضارها صورة الجبال. وكان إثارة هذا الخاطر ملحوظا عند ذكر السفن الجارية فوق البحر تزين

^{٧٥}الرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٢٦.

^{٧٦}الصف ٤.

^{٧٧}الرحمن ٢٤.

سطحه، فكأنما أريد الإشارة إلى جلالها وجمالها معا. وفي كلمة ((الأعلام))
وفاء بتأدية هذا المعنى أدق وفاء.^{٧٨}

يقول الرماني: فهذا تشبيه قد أخرج ما لا قوة له في الصفة إلى ماله قوة
فيها، وقد اجتمعا في العظم إلا أن الجبال أعظم، وفي ذلك العبرة من جهة القدرة
فيما سخر من الفلك الجارية مع عظمها، وما في ذلك من الانتفاع بها، وقطع
الأقطار البعيدة فيها.^{٧٩}

ويعلق الشيخ محمد أبو زهرة على كلام الرماني فيقول:

وإن ذلك الكلام حق فإنه إذا كان الجمع بين المشبه والمشبه به القدرة،
فالجبل أقوى، وإذا كان الظهور فالجبال أظهر.

ولكن يلاحظ أن المقصود من التشبيه لا يعني به الرماني كثيرا بل تكون
عنايته بالأوصاف الظاهرة، أو المقاصد القرية، وأن المقصود في هذا السياق هو
بيان سر الله تعالى في خلقه وتسخيره للإنسان، فإنه إذا كانت الجبال والأوهاد
وجدها الإنسان كذلك، وهي رواصي الأرض، وبها ثباتها، فإن الجوارى وهي
السفن التي تقارب في علوها وفي قوتها وأثقالها الجبال تجري على الماء، وهو
يحملها مع أنه سائل لا صلابة فيه، وتجري فيه وتنقلهم إلى بلد لم يكونوا واصلين

^{٧٨} من بلاغة القرآن ص ٢٠١.

^{٧٩} النكت في إعجاز القرآن ص ٨٥.

إليه بغيرها، فقدرة الله تعالى فيها أظهر، لأنها منشأة ترى نشأتها، وهي تجري بأمر الله تعالى، ولا يجرونها.^{٨٠}

وأرى أن ما قاله الشيخ أبو زهرة جدير بالقبول.

وينشد ابن أبي الأصبع بهذا التشبيه بقوله:

((وهذا بيان إخراج ما لا قوة له في الصفة، إلى ما له قوة في الصفة، وقد اجتمعا في العظم، إلا أن الجبال أعظم، ولهذا جاءت مشبها بها، وفي ذلك العبرة من جهة قدرة من سخر الفلك الجارية على الماء مع عظمها ولطفه، وما في ذلك من انتفاع الخلق بحمل الأثقال وقطعها الأقطار البعيدة في المسافة القريبة، وما يلازم ذلك من تسخير الرياح للإنسان.^{٨١}

كما يقول ابن الأثير:

وهذا تشبيه كبير بما هو أكبر منه، لأن خلق السفن البحرية كبير، وخلق الجبال أكبر منه.^{٨٢}

واقراً قوله تعالى: ((وجعلنا الليل لباساً)).^{٨٣}

^{٨٠} المعجزة الكبرى ص ٢٢٩.

^{٨١} بديع القرآن ص ٥٩.

^{٨٢} المثل التأثر ج ١ ص ٢٩٩.

^{٨٣} النبأ ١٠.

فقد شبه الليل باللباس، أنه يستر الناس بعضهم عن بعضهم لمن أراد هرباً من عدو أو ثباتاً لعدو، أو إخفاء ما لا يجب الإطلاع عليه من أمره، وهذا من التشبيهات التي لم يأت بها إلا القرآن الكريم، فإن تشبيه الليل باللباس مما اختص به دون غيره من الكلام المنظوم والمنثور.^{٨٤}

ومن مميزات التشبيه القرآني الذي يملك القلوب، أن المشبه قد يكون واحداً، ويشبه بأمرين أو أكثر لمحا لصلة تربط بين هذا الأمر وما يشبهه تثبتاً للفكرة في النفس، أو لمحا لها من عدة زوايا.

اقرأ قوله تعالى في وصف حال المنافقين ((مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون، صمّ بكم عمي فهم لا يرجعون. أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين)).^{٨٥}

تأمل هذا التشبيه الرائع، فقد صور القرآن الكريم حيرة المنافقين، واضطراب أمرهم. وهذه الحيرة يشتد تصورها لدى النفس، إذا هي استحضرت صورة هذا السارى وقد أوقد ناراً تضيئ طريقة، فعرف أين يمشي، ثم لم يلبث أن

^{٨٤}المثل السائر ج ١ ص ٢٩٩.

^{٨٥}البقرة ١٧-١٩.

ذهب النور وشمل المكان ظلام دامس، لا يدري السائر فيه أين يضع قدمه، ولا كيف يأخذ سبيله، فهو يتخبط ولا يمشي خطوة حتى يرتد خطوات.

أو إذا استحضرت صورة هذا السائر تحت صيب من المطر، قد صحبه ظلمات ورعد وبرق، أما الرعد لتناه في الشدة إلى درجة أنه يود اتقاءه بوضع أصابعه إذا استطاع في أذنه، وأما البرق فيكاد يخطف البصر، وأما الظلمات المتراكمة فتحول بين السائر وبين الاهتداء إلى سواء السبيل.^{٨٦}

و - كما ترى - فقد شبه حال المنافقين وقد أبصروا أمامهم بأعينهم نور الإيمان، وشهدوا بأنفسهم دلائله وشواهدة. وهم مع ذلك مصرون على عقيدتهم الباطلة، بحال قوم أو قدوا حولهم ناراً تبينوا على ضوئها ما أحاط بهم من معالم الأشياء، ثم ما لبثت أن أطفئت، فوقعوا يتخبطون في ظلام دامس وليل حالك، أو بحال قوم دعمهم مطر غزير في ليلة ليلاء. فيها رعد وبرق وصواعق، حتى امتلكهم الخوف، فوضعوا أصابعهم في آذانهم حذر الموت.

ووجه الشبه : هو وجود هداية قصيرة الأمد تلاها ظلام الحيرة والندم.

يقول ابن أبي الأصبع: وهذا من أصدق التشبيه وأقربه.^{٨٧}

^{٨٦} من بلاغة القرآن ص ٢٠٢.

^{٨٧} بديع القرآن ص ٦١.

كما يقول ابن الأثير: إن مثل هؤلاء المنافقين كمثل رجل أو قد نارا في ليلة مظلمة بمفازة فاستضاء بها ما حوله، فاتقى ما يخاف وأمن، ففيما هو كذلك إذا أطفئت ناره، فبقي مظلمًا خائفًا. وكذلك المنافق إذا أظهر كلمة الإيمان استنار بها واعتز بعزها، وأمن على نفسه وماله وولده، فإذا مات عاد إلى الخوف، وبقي في العذاب والنقمة.^{٨٨}

إنك لو أنعمت النظر في هذا التشبيه الرائع، لوجدت الدرر الغالية، واللالئ الثمينة التي تجل عن الوصف. تجدها في صورة التشبيه، كما تجدها في أجزائه وكل منهما له دلالاته وموحياته.

هذا، وإلى جانب ما ذكرنا من خصائص التشبيه القرآني، وما فيه من روعة وجمال وحسن وبهاء، فإن التشبيهات القرآنية تهدف إلى التأثير في العاطفة بصور أخاذة تأسر الألباب، فهي ترغب أو ترهب.

اقرأ قوله تعالى: ((ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله، وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين، فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير)).^{٨٩}

^{٨٨}المثل السائر ج ١ ص ٤٠٤.

^{٨٩}البقرة الآية ٢٦٥.

فقد شبهت النفقة ابتغاء وجه الله بجنة ربوة عالية، فهي تقيّة التربة إذا أصابها وابل تشربت منه ما تزداد به خصوبة، وتركت الباقي ينحدر إلى القيعان فإذا لم يصبها وابل لا نظماً لأنها نرتضع من ثدي آخر، هو قطر الندى بطهره ونقاته فهي مخصبة في كل حال، نامية أبداً، وهذا هو الجامع بين الطرفين.^{٩٠}

يقول الزمخشري: مثل نفقة هؤلاء في زكاتها عند الله ((كمثل جنة)) وهي البستان ((بربوة)). بمكان مرتفع، وخصها لأن الشجر فيها أزكى، وأحسن ثمراً، ((أصابها وابل)) مطر عظيم القطر، ((فأتت أكلها)) ثمرتها ((ضعفين)) مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل ((فإن لم يصبها وابل فطل)) فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها.

أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة، ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل، ومع أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة، فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله، ويبدل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم، وحسن حالهم عنده.^{٩١}

واقراً قوله تعالى: واتل عليهم نبأ الذي آتينا آباءنا فانسلك منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها، ولكنه أخلد إلى الأرض وأتبع

^{٩٠}التصوير البياني ص ١٠٠.

^{٩١}الكشاف ج ١ ص ٣٩٥.

هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا).^{٩٢}

فقد شبه القرآن من آتة الله علما نافعا، فكفر بما علم، ومال إلى حطام الدنيا ومباهجها الفاتية، وأتبع هواه، بالكلب في أحس صفاته وأحقرها وأذها سواء أقبلت عليه، أم أعرضت عنه.

ووجه الشبه: وجود صفات قبيحة، وطبائع راسخة ذميمة، لا يهدبها النصيح والترغيب، ولا يؤثر فيها التهديد والوعيد.

يقول الرماني: فهذا بيان قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة، إلى ما تقع عليه. وقد اجتمعا في ترك الطاعة على وجه من من وجوه التدبير وفي التخسيس، فالكلب لا يطيعك في ترك اللهث حملت عليه أو تركته، وكذلك الكافر لا يطيع بالإيمان على رفق ولا على عنف وهذا يدل على حكمة الله سبحانه في أنه لا يمنع اللطف.^{٩٣}

^{٩٢}الأعراف ١٧٥، ١٧٦.

^{٩٣}النكت في إعجاز القرآن ص ٨٢.

كما يقول أبو هلال العسكري: أخرج مالا يقع عليه الحاسة إلى ما يقع عليه من لهث الكلب، والمعنى أن الكلب لا يطيعك في ترك اللهث على حال وكذلك الكافر، لا يجيبك إلى الإيمان في رفق ولا عنف.^{٩٤}

وواضح أن ما قاله أبو هلال لا يخرج عما قاله الرماني.

أما الجاحظ فقد أفاض في بيانه الساحر، ودفع بأسلوبه الرائع، وفكره الثاقب، وحجته الدامغة، وبراهينه الساطعة، شبهة المعارضين على التشبيه في الآية الكريمة فيقول مدافعا ومبيناً سر الجمال في هذا التشبيه:

وقد اعترض معترضون في قوله عز وجل ((واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها. ولكنه أخلد إلى الأرض وأتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا)).

فزعموا أن هذا المثل لا يجوز أن يضرب لهذا المذكور في صدر الكلام، لأنه قال: ((واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها)) فما يشبه حال من أعطى شيئاً فلم يقبله، ولم يذكر غير ذلك، بالكلب الذي إن حملت عليه نبح وولى ذاهباً، وإن تركته شد عليك ونبح، مع أن قوله ((يلهث)) لم يقع موقعه،

^{٩٤}الصناعتين ص ٢٦٢.

وإنما يلهث الكلب من عطش شديد، وحر شديد، ومن تعب، وأما النباح والصياح فمن شيء آخر.

ويدحض الجاحظ هذا الزعم، ويدفع تلك الأباطيل بما أوتي من علم غزير ومنطق قويم.

فليس ببعيد أن يشبه الذي أوتي الآيات والأعاجيب والبرهانات والكرامات في بدء حرصه عليها، وطلبه لها، بالكلب في حرصه وطلبه، فإن الكلب يعطى الجهد والجهد من نفسه في كل حالة من الحالات، وشبه رفضه وقذفه لها من يديه وورده لها بعد الحرص عليها، وفرط الرغبة فيها، بالكلب إذا رجع نبح بعد اطرادك له.

وواجب أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسة في وزن طلبها والحرص عليها، والكلب إذا أتعب نفسه في شدة النباح مقبلا إليك، ومدبرا عنك، لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش، وعلى أنا ما نرمي بأبصارنا إلى كلابنا وهي رابضة وادعة، إلا وهي تلهث من غير أن تكون هناك إلا حرارة أجوافها والذي طبعت عليه من شأنها، إلا أن لهث الكلب مختلف بالشدة واللين.^{٩٥}

^{٩٥} الحيوان ج ٢ ص ١٥-١٧.

فلا اعتراض هنا يتوجه إلى التشبيه، إذ كان صاحبه أنه غير دقيق محكم في بابه، وشبهته في ذلك تتلخص في أمرين:

أحدهما: أن المشبه وهو من أعطى شيئاً فلم يقبله لا يشبهه بكلب إن حملت عليه نبح، أو تركته نبح لحفاء وجه الشبه بين الطرفين.

وثانيهما: أن لهات الكلب لا يكون إلا من الحر والعطش والتعب، والكلب هنا لم يعان شيئاً من نحو هذه الثلاثة، فلم عدل القرآن عن النباح المتوقع ذكره إلى اللهاث؟

هذان هما الأمران اللذان دفعا بالشبهة إلى المعترض، فاحتلجت في نفسه احتلاجا صوره الجاحظ وافيا دقيقا دون انتقاص، فإذا تم له أن يأتي بالاعتراض على أوضح وجوهه، عمد إلى المأخذ الأول. فذكر أن قول الله عز وجل في ختام الآية الكريمة: ((ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا)) يدل على أن المشبه ليس من أعطى شيئاً فلم يقبله. كما تصور المعترض، ولكنه من كذب بالآيات حين توالت دلائلها الصادقة عليه، والتكذيب -بالتضعيف- لا يكون مرة واحدة، وإنما هو إمعان في الرفض وإلحاح في الدفع مهما وضحت الدلائل، وظهر اليقين، ومن يتوالى رفضه المكذب لكل دليل يقدم إليه مع طلبه إياه، وحرصه عليه، فهو شبيه بالكلب إذ يعطي الجذ والجهد من نفسه في كل حالة

من الحالات، ثم يرجع كما كان قابجا غير مستريح، فالمكذب إذن معاند لا يزال يلج، قدمت له الإقناع بالدليل أو تركته ككلب في طريقك يقدم عليك نابجا، وبتركك نابجا، والتشبيه بعد ذلك من القة البراعة بحيث يسكت كل لجاج.

أما الأمر الثاني: ففي قول الله عز وجل ((إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث)) إذ توهم المعترض أن الله لا يكون من غير الحر والعطش والتعب، والكلب النابح في الطريق لا يعاني شيئا من ذلك فيلهث، قد قضى الجاحظ عليه حين قال:

والكلب إذا أتعب نفسه في شدة النباح مقبلا عليك، ومدبرا عنك لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش، وهو أمر يدركه الأطفال قبل الرجال، فكيف جاز لمن يجد في نفسه الجرأة على نقد التشبيه أن يجهله، بل إن الجاحظ أستاذ علم الأحياء في عصره ليتهكم خفيا بالمعترض حين يقول: ((على أننا مانرمي بأبصارنا إلى كلابنا وهي رابضة وادعة إلا وهي تلهث من غير أن يكون هناك إلا حرارة أجوافها، والذي طبعت عليه من شأهما)) فكان الاعتراض الثاني قد مات سقطا قبل أن يستهل ويمنح الحياة.^{٩٦}

^{٩٦}خطوات التفسير البياني القرآن الكريم ص ٨٨، ٨٩.

وتأمل قوله تعالى: ((واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض، فأصبح هشيما تذروه الرياح، وكان الله على كل شيء مقتدرا.^{٩٧}

وقوله سبحانه: ((اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد، كمثل غيث أعجب الكفار نباته، ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما.^{٩٨}

وقوله جل شأنه: ((إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها، أتاهم أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس)).^{٩٩}

في الآيات السابقة صور القرآن الكريم فناء هذا العالم الذي نراه مزدهرا أمامنا عامرا بألوان الجمال، قيخيل إلينا استمراره وخلوده.

لقد وجد القرآن في الزرع يرتوى من الماء فيصبح بهيجا نظرا يعجب رائيه، ولكنه لا يلبث أن يذبل ويصفّر، ويصبح هشيما تذروه الرياح، وجد

^{٩٧} الكهف ٤٥.

^{٩٨} الحديد ٢٠.

^{٩٩} يونس ٢٤.

القرآن في ذلك شبيها لهذه الحياة الدنيا، ولقد أوجز القرآن مرة في هذا التشبيه وأطنب ليستقر معناه في النفس، أثره في القلب.^{١٠٠}

-وكما ترى- فقد شبه حال الدنيا في نضارتها وبهجتها، وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر مورقا، ثم يبسس وتطيره الرياح كأن لم يكن.^{١٠١}

يقول الرماني: وهذا بيان قد أخرج ما لم تجر به عادة إلى ما قد جرت به، وقد اجتمع المشبه والمشبه به في الزينة والبهجة، ثم الهلاك بعده، وفي ذلك العبرة لمن اعتبر والموعظة لمن تفكر في أن كل فان حقير وإن طالت مدته، وصغير وإن كبر قدره.^{١٠٢}

كما يقول أبو هلال: بيان ما جرت به العادة إلى ما لم تجر به، والأمر الذي يجمع الأمرين الزينة والبهجة، ثم الهلاك، وفيه العبرة لمن اعتر والموعظة لمن تذكر.^{١٠٣}

وكلام أبي هلال يكاد يكون كلام الرماني بمفهومه ومنطوقه.

^{١٠٠}من بلاغة القرآن ص ٢٠٩.

^{١٠١}الإيضاح ج ٣ ص ٣٧.

^{١٠٢}النكت في إعجاز القرآن ص ٨٣.

^{١٠٣}الصناعتين ص ٢٦٣.

ويقول ابن الأثير: شبهت حال الدنيا في سرعة زوالها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بجمال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الأرض، وذلك تشبيه صورة بصورة، وهو من أبدع ما يجيء في بابه.^{١٠٤}

كما يشيد أيضا بجمال التشبيه وروعته الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي حيث يقول: والجامع البهجة والزينة، ثم الهلاك وفيه العبرة.^{١٠٥}

وأبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي بقوله: أراهم الله عاقبة أمر الدنيا وفنائها بما عاينوا من انقضاء أيام الربيع كيف تلاشت زينتها وبهجتها كذا حال زينة الدنيا.^{١٠٦}

كما يقول الإمام محمد مصطفى المراغي، في الدنيا لعب وهو يتفكه الناس بهما، وأكثر ما يكون الأول الصبيان، وأكثر ما يكون الثاني الشبان، وأكثر ما تكون الزينة النساء ومن في حكمهن من الرجال، وفيها تفاخر بالأنساب والقدرة وغيرهما من الصفات، وفيها مباراة في الإكثار من المال والولد والجيش، وكل هذه عرضة التبدل والزوال، ويغلب أن تقع الحسرات بعد اللهو واللذات.

^{١٠٤} المثل السائر ج ١ ص ٤٠٤.

^{١٠٥} البرهان في علوم القرآن ج ٣ ص ٤٢١.

^{١٠٦} الأمثال من الكتاب والسنة ص ١٨.

وقد ضرب الله مثلا الدنيا في سرعة تقضيها وقلة جدواها، وفي بهجتها عند إقبالها وعبوسها عند إدارها، فبين أنها كالنبات يستوي على سوقه ويخضر، ويعجب به الزارع ثم يجف ويصفر، ويكون هشيمًا وحطامًا متكسرا، ففي الطور الأول جمال وفتنة وسحر للناظرين، وبهجة النفس والعين، وأنس لا يقدر قدره، لكن هذا الطور لا يدوم بل ينقضي بسرعة، ويحل الطور الثاني، وفيه بزول الجمال والسحر والفتنة وراحة العين ثم لا يبقى من الأعواد البديعة إلا حطام لا تستريح النفس إلى رؤيته وتزروه الرياح.

قال سعيد بن جبير: الدنيا متاع الغرور إذا ألهتك عن طلب الآخرة، أما إذا دعتك إلى رضوان الله فنعم المتاع، لكن الله سبحانه لما علم حب النفوس لزخرف الدنيا وعلم فتنها وإعجاب الخلق بها أراد أن يحط من قدرها لتضعف شدة الرغبة فيها، وشدة الحرص عليها، وليوجه الناس إلى الآخرة بالإحسان في طلب الدنيا.^{١٠٧}

هذا. ومن التبين أن هذا التشبيه يدخل ضمن التشبيه التمثيلي الذي يتبوأ في البلاغة أسمى مكان.

^{١٠٧} مجلة الأزهر - المجلد الثاني عشر ص ٢٦٠، وانظر خطوات التفسير البياني ص ٣٠٤.

يقول الإمام عبد القاهر: ينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى تمثيلاً لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح، ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة الكلام، أو جملتين أو أكثر، حتى إن التشبيه كلما كان أوغلاً في كونه عقلياً محضاً كانت الحاجة إلى الجملة أكثر.

ألا نرى إلى نحو قوله عز وجل ((إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس)).

كيف كثرت الجمل فيه حتى إنك ترى في هذه الآية عشر جمل إذا فصلت وهي وإن كان قد دخل بعضها في بعض حتى كأنها جملة واحدة، فإن ذلك لا يمنع من أن تكون صورة الجمل معنا حاصلة تشير إليها واحدة واحدة؛ ثم إن الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض، وإفراد شطر من شطر، حتى إنك لو حذف منها جملة واحدة من أي موضع كان أحل ذلك بالمغزى من التشبيه.^{١٠٨}

* * * * *

وهكذا نجد التشبيه القرآني لا يعني بنفاسة المشبه به، وإنما العناية كلها باقتراب الصورتين في النفس وشدة وضوحها وعظيم تأثيرها. كذلك فإن التشبيه القرآني يستمد عناصره من الطبيعة، وهذا سر خلوده وبقائه.

كما يمتاز التشبيه القرآني بالدقة في اختيار ألفاظه المعبرة الموحية، وتصوير المعاني تصويراً قوياً مؤثراً يملك القلب ويأسر اللب، إلى جانب تأثيره في العاطفة أيما تأثير.

وهذا قليل من كثير، فالتشبيه القرآني من أسرار الإعجاز، وقد عده الرماني من أقسام البلاغة التي هي أحد وجوه الإعجاز.^{١٠٩} إن التشبيهات القرآنية صور بيانية رائعة لها خصائص اتسمت بها، فهي خالدة خلود الدهر، باقية بقاء الإنسان.^{١١٠}

^{١٠٩}النكت في إعجاز القرآن ص ٧٦.

^{١١٠}انظر: المثل السائر لابن الأثير، والبرهان في علوم القرآن للزركشي والإنتقان في علوم القرآن للسيوطي، والجمان في تشبيهات القرآن لابن نايقا البغدادي، والفوائد المشرق إلى علوم القرآن وعلم البيان للإمام شمس الدين المعروف بابن القيم الجوزية، والصناعتين لأبي هلال العسكري، وأسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، وإعجاز القرآن الباقلائي، والمعجزة الكبرى للشيخ محمد أبو زهرة، وخطوات التفسير البياني للدكتور وجب اليومي، والتصوير البياني للدكتور محمد أبو موسى، والقرآن والصورة البيانية للدكتور عبد القادر حسين، والبيان في ضوء أساليب القرآن للدكتور عبد الفتاح لاشين.

وأسرار التشبيه القرآني لاتنتهي، والحديث عنها لاينفد، فالقرآن الكريم
بجر داخر بالآلئ الغالية، وكلما غصت في أعماقه -وأعماقه لا قرار لها- وجدت
الدرر الثمينة والكنوز النفسية.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ((الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها
مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر
الله.

وصلى الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.